1430هـ/2009م

موقف معاوية بن أبي سفيان من الأحداث السياسية في العصر الراشدي

م.د. سالم عبد علي* و محمود غانم محمد**

تاريخ التقديم: 2009/3/18 تاريخ القبول: 2009/4/1

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الجمعين.

أما بعد:

يحتاج تاريخ (السنوات الخمس الأخيرة) من الخلافة الراشدة إلى جهود كبيرة من التمحيص والتدقيق، لإظهار الحقائق كما هي، من بين ركام كم هائل من الروايات، دفعاً لدفة القراء والباحثين والمنصفين نحو الحقائق غير المغلوطة، التي يمكن الاستفادة منها في تطوير الوعي التاريخي، خدمة للحضارة الإسلامية، وتزامناً مع التحديات التي تواجه الأمة في تاريخها ورموزها، ومن باب الوفاء لحملة القران وحملة الشريعة الغراء، وإظهاراً للخيرية التي خصهم بها الله تعالى بقوله ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ {آل عمران (110)} والتي خصهم بها رسولنا الكريم محمد (ﷺ) (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[(1)] فقد شوهت كثير من الوقائع التاريخية والخاصة

---

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

** باحث.

(1) البخاري، صحيح البخاري، اعتنى به أحمد جاد (المنصورة: 2002) دار الغد الجديد، ط1، 676 حديث رقم (3651)

بهذه المرحلة، لأسباب مختلفة، فهي لم تكتب إلا بعد سقوط الدولة الأموية، وهيمنت العباسيين على الأمور السياسية والاجتماعية والثقافية، ومَا صاحبَ ذلك من ظهور كثير من الفرق ذات الأهواء والاتجاهات المختلفة، فضلاً عن أنه لا يمكن افتراض أن كل الرواة والأخباريين كانوا منصفين موضوعيين فلابد أنه كان بينهم من ذوي الاتجاهات السياسية الذين أسهموا، جهلاً أو عمداً، في تزوير الوقائع ونقل صور معكوسة لما جرى في تلك المرحلة.

وفي ذلك يقول احد الباحثين: (اعتقادي أن الذي يقرأ الكتب التاريخية القديمة منها والحديثة بوعي تاريخي وعقيدة سليمة سيشعر فعلاً بضخامة الانحراف والخطأ الذي وقع فيه كثير من الإخباريين والباحثين والكتاب المعاصرين، ومن هنا جاءت كتب التاريخ مشحونة بأقوال المبطلين إما لجمع المؤرخ كل الروايات على اختلاف مشاربها ويترك الباطل منها يكشف عن نفسه بوهِ سنده ومتنهِ كما فعل الطبري، وإما ليلبس المؤرخ على الناس أمراً إذا كان من ذوي الميول والأهواء مثل ابن مزاحم واليعقوبي والمسعودي وغيرهم)[1].

ومعاوية (رضي الله عنه) من بين أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذين تعرضت سيرتهم للطعن، وشوهت مناقبهم وتنكَّرَ لجهودهم في خدمة الإسلام والمسلمين ونشر الدين، ومن هنا يأتي هذا البحث محاولة أولية لجلاء حقيقة موقفه في الفتنة التي وقعت واستعر أوارها لبضعة سنوات.

لقد شهدت السنوات الأخيرة من خلافة عثمان وطيلة خلافة علي رضي الله عنهم صداماً محتدماً، انتهى بفواجع حقيقية تمثلت باستشهاد أثنين من خلفاء المسلمين، وبرزت في خضم هذه الصراعات قوىً أو كتل عديدة لعبت دوراً خطيراً في تأجيج المواقف المختلفة. ثم جاء اضطراب الروايات التاريخية ليزيد الأمر إرباكاً. لذلك كان لابد من تتبع خيوط كل مسألة بحذر وبدقة بغية الوصول إلى أقرب صورة لما جرى.

---

(1) د. محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (مصر: 2007) دار السلام، ط 2، 15-16.

أولاً: موقف معاوية من السبئية الأولى

1. أسباب الفتنة ودور ابن سبأ فيها:

كانت الأوضاع هادئة في عهد عثمان (رضي الله عنه) حتى سئم الناس العافية وتنادى رؤوس الفتنة من السبئية والأعراب في الأمصار وأخذوا يفترون على عثمان (رضي الله عنه) وولاته الكذب، وكانت كلما افتضحت لهم قالة سوء أظهروا قالة أخرى. فقد نقموا عليه أموراً ووجهوا إليه تهماً كانت في عداد المآخذ عليه [1].وهكذا فإنَّ الروايات التي فصلت فيما وقع في المرحلة الثانية من خلافة عثمان تكاد تتفق على أن يداً خفية وراء كل الأحداث، وإن ثورة أهل الأقاليم التي شكلت بداية الفتنة على أمرائهم لم تحصل فجأة وإنما كانت نتيجة مؤامرة مدبرة وكيد مضمر، تشير كثير من الروايات إلى أنَّ اليهودي عبدالله بن سبأ [2] أحد أعمدة هذه الجهة التي عملت سراً على إفساد مجتمع المسلمين ودولتهم بعد ما عجزت عن مواجهتم وجهاً

---

(1) د. محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، 301.

(2) كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أُمُهُ سوداء، اسلم زمان عثمان ثم تنقل بين بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند إحد من أهل الشام (لوجود كثير من الصحابة وخاصة من الأنصار مثل عبادة بن الصامت وغيره والذين كان لهم معرفة بمكر اليهود، فضلاً عن لحسن سيرة معاوية (رضي الله عنه) في رعيتهِ) فأخرجوه من الشام حتى أتى مصراً فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول لعجب من يزعم ان عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل (ان الذي فرض عليك القران لرادك إلى معاد) { القصص (85)} فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها. ثم قال لهم بعد ذلك انه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصيَّ محمد، ثم قال خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ووثب على وصي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وأبدأوا بالطعن على أمرائكم، واظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتستميلوا الناس فبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم واظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيون ولاتهم ويكاتبهم أخوانهم بالمثل في ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يبدون. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج647/2.

لوجه[1]. واستجاب لابن السوداء بعض من أصحاب القلوب المريضة من المفتونين في البصرة والكوفة ومصر [2]. وكانت الكوفة أرضاً خصبة للفتن وترويج الشائعات والأباطيل ولا سيما من الذين طبق عليهم حد السرقة أو القتل أو على احد من أقاربه ممن لازالت آثار الجاهلية باقية في دمهٍ[3]. ويمكن القول إن الرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، وظهور العصبية القبلية، وتوقف الفتوحات، والمفهوم الخاطئ للورع، وظهور جماعة من الطامحين، فضلا عن تآمر الحاقدين، واستخدامهم الأساليب المهيجة والمثيرة هي أهم الأسباب الأساسية للفتنة[4].

وقد حاول عثمان (رضي الله عنه) بكل ما أوتي من تقوى وحلم وعلم أنْ يدفع الفتن وأنْ لا يكون طرفاً فيها، فعمل على إرسال لجان تفتيش وتحقيق إلى الأمصار، وقام بعزل بعض الولاة لعل ذلك يطفئ الفتنة، ثم قام بإرسال الكتب إلى الأمصار التي تدعوا إلى الالتزام بالكتاب والسنة ونبذ الفرقة، ثم تشاور مع ولاة الأمصار للبحث في أسباب الفتنة، ودعاهم إلى العفو والصفح وأداء الحقوق، وأخيراً أقام الحجج الدامغة على المتمردين لعلهم ينصاعون إلى الحق [5]. وكان عثمان (رضي الله عنه) ومعه الصحابة يعرفون علامات الفتنة لذلك عندما وصلت إلى عثمان رسالة عن طريق سعيد بن العاص والي الكوفة تبين حال الناس في هذا المصر، ألقى خطبة في المدينة المنورة قال فيها: (يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت إليكم الفتن)[6] ورأى عثمان (رضي الله عنه) أنْ يضحي بنفسه ولا يكون كما قال أول من خلف

---

(1) عبدالواحد الإدريسي، فقه الفتن (الرياض: 2004) دار المناهج، ط1، ص162.
(2) محمد حسان، الفتنة بين الصحابة (المنصورة: 2007) مكتبة فياض، ط1،127.
(3) د. محمد حامد الخليفة، الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف (دمشق: 2004) دار القلم، ط1، 157.
(4) د. محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، 237 وما بعدها.
(5) علي محمد الصلابي، عثمان بن عفان (القاهرة: 2003) المكتبة التوفيقية، 420 وما بعدها.
(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (بيروت: 2005) دار الكتب العلمية، ط3، 613/2.

رسول الله (ﷺ) في أمته بسفك الدماء فصبر على البلاء واستسلم للمحنة وفدى الأمة بنفسه ودمهِ [1]. وصدقت فيه كلمة الرسول (ﷺ) عندما بشره بالجنة على بلوى تصيبه[2].

2. معاوية ودعاة الفتنة

التقى معاوية أول ما التقى بدعاة الفتنة عندما أخرج والي الكوفة سعيد بن العاص بأمرِ أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عدد من أهل الفتنة منهم جندب الأزدي[3] الذي قتل ابنه السارق بسبب تورطه في حادثة قتل، ومنهم الأشتر النخعي[4]، وابن الكواء [5]، وصعصعة بن صوحان [6]، إلى معاوية بالشام وكتب عثمان إلى معاوية بشأن هؤلاء إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة فرعهم وقم عليهم فإن آنست منهم رشداً فاقبل منهم وأن أعيوك فارددهم عليهم، فلما قدموا على معاوية (رضي الله عنه) رحب بهم وأنزلهم كنيسة تسمى مريم وأجرى عليهم بأمر عثمان (رضي الله عنه) ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغدى ويتعشى

---

(1) محمد حسان، الفتنة بين الصحابة، 156.

(2) البخاري، صحيح البخاري حديث رقم (3695) ومسلم: صحيح مسلم (القاهرة 2005) موسوعة المختار، ط1 حديث رقم (2403).

(3) لم تترجم له المصدر المتوفرة في بحثي هذا.

(4) هو مالك بن الحارث النخعي، روى عن عمر وخالد شهد اليرموك، وقلعت عينه يومئذ، وكان ممن ألب على عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، سار إليه وأبلى شرً وشهد صفين مع علي (رضي الله عنه)، وكان علي (رضي الله عنه) يكرهه لأنه صعب المراس، بعثه علي (رضي الله عنه) والياً على مصر فمات بالطريق مسموماً سنة 38 هـ.الأنصاف، 159.

(5) عبدالله بن الكواء وهو احد الذين شاغبوا على الولاة في الكوفة شارك في صفين مع (رضي الله عنه) ثم كان احد الخوارج بعد صفين. الإنصاف، 159

(6) صعصعة بن صوحان العبدي نزيل الكوفة، تابعي كبير من المخضرمين من أصحاب علي(رضي الله عنه) قتل أخواه يوم الجمل فأخذ الراية وثقهُ بن سعد وقال الذهبي: وكان شريفاً مطاعاً أميراً فصيحاً مفوّهاً توفي نحو 60 هـ تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، 269، وانظر الإنصاف، 159.

معهم[1]. ثم حادثهم: فبين لهم فضل الإسلام على العرب، وفضل قريش على العرب، وان أئمتهم يصبرون لهم على الجور، ويتحملون عنهم المؤونة، وقال: (والله لتنتهنّ أو ليبتليكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمدكم على الصبر، ثم تكونوا شركاء فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم) فردوا عليه بما ينتقص من قريش والأئمة، فقال معاوية: (عرفتكم الآن، علمت أنَّ الذي أغراكم على هذا قلة العقول ! إفقهوا – ولا أضنكم تفقهون – إن قريشاً لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز وجل الذي لا يستذل من أعز ولا يوضع من رفع، ولن يضر ذلك قريشاً ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم، إنَّ الشيطان عنكم غير غافل، قد عرفكم بالشر من بين أمتكم فأغرى بكم الناس وهو صارعكم، ولا تدركوا بالشر أمراً أبداً إلا فتح الله عليكم شراً منه وأخزى) فتحادثوا بينهم وتلاوموا فتقاصرت إليهم أنفسهم[2].

كان عثمان يدرك أنَّ معاوية للمعضلة، فله من فصاحته وبلاغته، وله من حلمه وصبره، وله من ذكائه ودهائه ما يواجه به الفتن، ومن أجل ذلك ما إنْ تقع المعضلة حتى يرسلها لمعاوية كي يحلها، وفعلا بذل معاوية (رضي الله عنه) ما بوسعه من أجل إقناع هؤلاء النفر، أكرمهم أولاً، وخالطهم وجالسهم وعرف سرائرهم من خلال هذه المجالسة قبل ان يحكم عليهم بما نقل عنهم، وبعد أنْ أزال الوحشة عنهم، وأزال الكلفة بينه وبينهم، لاحظ أنَّ النعرة القبلية هي التي تحركهم، وأنَّ شهوة الحكم والسلطة هي التي تثيرهم، فكان لابد ان يلج عليهم من زاويتين الأولى: أثرِ الإسلام في عزة العرب، والثانية: دور قريش في نشر الإسلام وتحمل أعبائه[3].

ثم أتاهم بعد ذلك فتحدث عندهم طويلا ثم قال: (أيها القوم ردوا عليّ خيراًَ أو اسكتوا وتفكروا، وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم وعشائركم، وينفع جماعة المسلمين، فاطلبوه تعيشوا ونعش بكم) [1]. في هذه المحاولة بذل معاوية

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 635/2.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 635/2.

(3) منير الغضبان، معاوية بن أبي سفيان، 101 نقلا من: علي الصلابي، عثمان بن عفان، 405.

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 638/2.

أمير الشام كل جهده، واستعمل حلمه وثقافته وأعصابه كي يثنيهم عن الفتنة: أنه يدعوهم إلى تقوى الله وطاعته والاستمساك بالجماعة والابتعاد عن الفرقة [2] لكن صعصعة (خطيب القوم) رد عليه بقوله: (لست بأهل ذلك ولا كرامة لك أنْ تطاع في معصية الله)[3].

وبحلمه الكبير وصدره الواسع عاد فذكرهم بأنّه لا يأمرهم إلا بطاعة الله، وعلى حد زعمهم فهو يتوب من المعصية إنْ وقعت، ثم يعود لدعوتهم إلى الطاعة والجماعة والابتعاد عن تفريق كلمة الأمة، ولو كان الوعظ يجدي معهم لتأثرت قلوبهم بهذه المعاملة وهذا اللطف وهذا الحلم ولكنهم عدّوا ذلك ضعفاً وتهاوناً منه ولاسيما وهو يوجههم إلى أنْ يستعملوا الأسلوب الهادئ في العظة واللين في النصح، فوجدوا المجال رحباً أنْ يكشفوا عن مكنون قلوبهم [4]. فقالوا على لسان صعصعة بن صوحان: (فإننا نأمرك أنْ تعتزل عملك فإنَّ في المسلمين من هو أحق منك! قال: من هو؟ قال: من كان أبوه أحسن قدما من أبيك، وهو بنفسه أحسن قدماً منك في الإسلام) [5]. وانتبه معاوية انتباهاً مفاجئاً إلى ما يكنون، فأحب أنْ يتعرف على جانب غامض عليه فيهم، ولعل في هذا التعرف ما يوصله إلى من يحركهم، ويبث في أذهانهم الأراجيف المغرضة، ولكنهم أخفوا ما يكنون واكتفوا بالإشارة إلى أنهم يحبون أنْ يدع العمل إلى من هو أفضل منه، ولمن أبوه أفضل من أبيه [6] وقد لخص معاوية (رضي الله عنه) إجابته في ست نقاط أساسية مهمة وهي:

أ. إنَّ له قدماً وسابقة في الإسلام، فهو حامي ثغر الشام منذ وفاة أخيه يزيد رضي الله عنهما.

---

(2) علي الصلابي، عثمان بن عفان، 409.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 635/2.

(4) علي الصلابي، عثمان بن عفان، 409.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 638/2.

(6) علي الصلابي، عثمان بن عفان، 409.

ب. إنَّ هناك من المسلمين من هو أفضل منه، وأكرم وأحسن سابقة وأكثر بلاءً، وهو يرى أنّه أقوى من يحمي هذا الثغر الإسلامي العظيم –الشام– فمنذ أنْ تولاه تمكن من ضبطه وسياسته وفهم نفسيات أهله فأحبوه.

ت. إنَّ الميزان الحساس والعيار الدقيق الذي يقيم الولاة هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي لم تأخذه في الله لومة لائم، فلو وجد في معاوية شططاً أو إنحرافاً أو ضعفاً لعزله.

ث. إنَّ اعتزال العمل يجب أن يستند إلى أسباب موجبة للاعتزال، فما هي الحجة التي يقدمها دعاة الفتنة ليتم الاعتزال على أساسها؟

ج. إنَّ الذي يقرر العزل عن العمل أو البقاء في الإمارة هو أمير المؤمنين عثمان (رضي الله عنه) فهو الوحيد الذي له الحق في ذلك.

ح. إنَّ أمير المؤمنين عثمان يوم يقرر عزل معاوية فهو واثق أنَّ أمره خير كله ولا غضاضة في ذلك فهو أمير مأمور وهو أمر خليفة المسلمين.[1]

وكان ختام الجلسة مؤسفا أشد الأسف مؤلماً أشد الألم: (وثبوا عليه وأخذوا برأسه ولحيته) [2] وعندئذ زجرهم وقمعهم ووجه لهم كلاماً قاسياً مبطناً بالتهديد، وعرف ان هؤلاء يستحيل ان ينصاعوا إلى الحق.

والتقى بهم للمرة الأخيرة فلما خرجوا دعاهم فقال: (إني معيد عليكم، ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان معصوماً فولاني وأدخلني في أمره، ثم استخلف أبو بكر (رضي الله عنه) فولاني، ثم استخلف عمر (رضي الله عنه) فولاني، ثم استخلف عثمان (رضي الله عنه) فولاني، فلم آلِ لأحد منهم ولم يولني إلا وهو راضٍ عني، وإنما طلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للأعمال أهل الجزاء من المسلمين والغناء؛ ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها، وإن الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به، فلا تعرضو ا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون؛ فإنّ الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدي للناس سرائركم؛ وقد قال عز وجل ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ

(1) منير الغضبان، المرجع السابق، ص114–117 نقلا من علي الصلابي، عثمان بن عفان، 409–410.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 638/2.

يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت (2)][1]. وكتب معاوية إلى عثمان: (أنه قدم علي أقوام ليس لهم عقول ولا أديان، أثقلهم الإسلام، وأضجرهم العدل؛ ولا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة؛ إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة، والله مبتليهم ومختبرهم، ثم فاضحهم ومخزيهم) [2]. فخرجوا من دمشق ولم يرجعوا إلى الكوفة لكي لا يشمتوا بهم فذهبوا إلى الجزيرة وكانت من ولاية عبدالرحمن بن خالد بن الوليد (رضي الله عنه) فقسى عليهم حتى تابوا ورجعوا[3].

وفي هذا النص تتجلى معرفة معاوية (رضي الله عنه) بالرجال وعميق نظره بالسياسة وحسن معالجته للمعضلات كما يتضح حرص الخليفة على أداء الحقوق للرعية من أي صنف كانوا ومهما بلغت معارضتهم[4]

3. مشورة عثمان (رضي الله عنه) لولاة الأمصار

واجه عثمان (رضي الله عنه) الفتنة –كما مر– بأساليب متنوعة ومن هذه الأساليب مشورته لولاته في الأمصار إذ بعث إليهم واستدعاهم على عجل وكانوا كل من: عبدالله بن عامر، معاوية بن أبي سفيان، عبدالله بن سعد بن أبي سرح وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وهم من الولاة السابقين، وكانت جلسة مغلقة وخطيرة وقال فيها كل من المشاركين برأيهِ[5].

وكان رأي معاوية فيما تبين بقوله لعثمان: (أشير عليك أن تأمر أجنادك فيكفيك كل رجل منهم ما قبله وأكفيك أنا أهل الشام) [6] وبناءً على ذلك قام عثمان بتقديم وجهة نظره في ما حصل وما قد يحصل من أحداث، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:(كل ما أشرتم به عليّ قد سمعت، ولكل أمر باب يؤتى منه؛ إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة، كائن وإن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 636/2.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 638/2.

(3) المصدر نفسه والموضع نفسه.

(4) د.حامد الخليفة، الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، 162.

(5) علي الصلابي، عثمان بن عفان، 410.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 643/2.

والمؤاتاة والمتابعة، إلا في حدود الله تعالى ذكره، التي لا يستطيع أحد أن يبادي بعيب احدها، فإن سده شيء فرفق، فذاك، ووالله ليفتحنَّ وليست لأحد عليّ حجة حق، وقد علم الله أني لم آلُ الناس خيراً، ولا نفسي ووالله إنَّ رحى الفتنة لدائرة) [1] فطوبى لعثمان (رضي الله عنه) أنْ مات ولم يحركها، كفكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغتفروا لهم وإذا نعوطيت حقوق الله فلا تداهنوا فيها) [2] وطلب من عماله أنْ يعودوا إلى أعمالهم على وفق ما أعلنه لهم من أسلوب في مواجهة الفتنة التي كان كل بصير يرى أنها قادمة [3] وقبل أن يتوجه معاوية إلى الشام أتى عثمان وقال له: (يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من الأمور والأحداث ما لا قبل لك بها) فقال عثمان (رضي الله عنه) (أنا لا أبيع جوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بشيء؛ ولو كان فيه قطع خيط عنقي) فقال له معاوية (رضي الله عنه): (إذن أبعث لك جيشاً من الشام يقيم في المدينة لمواجهة الأخطار المتوقعة ليدافع عنك وعن أهل المدينة فقال عثمان (رضي الله عنه): لا أضيق على أهل الهجرة والنصرة. عندها قال معاوية (رضي الله عنه): يا أمير المؤمنين والله لتقتلنّ أو لتغزينّ. قال عثمان (رضي الله عنه): حسبي الله ونعم الوكيل [4]. ولقد حدث كل ما توقعه معاوية فجاءت جموع أهل الفتنة لتحاصر عثمان وتغتاله في النهاية ولم يكن بينهم من أهل الشام أحد [5]. من كل ما سبق نجد ان معاوية حاول بكل ما أوتي من علم وحلم إخماد هذه الفتنة في مهدها ولكن قدر الله وإرادته.

---

(1) يشير عثمان إلى ما رواه ابن مسعود (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: ﴿تدور رَحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين عاماً، قال قلت: أممَّا بقي؟ قال ممَّا مضى ﴾ سنن أبي داود، تخريج وتعليق الألباني (الرياض: 2007) مكتبة المعارف، ط2، 759.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 648/2.

(3) علي الصلابي، معاوية بن أبي سفيان/ (بيروت: 2006) / دار المعرفة، ط2،90.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 650/2؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا (بيروت: 2004) دار الكتب العلمية، 441/1.

(5) علي الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، 90.

لقد كان مقتل عثمان (رضي الله عنه) سبباً مباشراً في خلق أزمة أخرى أو بالأحرى فتنة ثانية تضاربت فيها الآراء وتباينت فيها وجهات النظر، واختلفت الاجتهادات في الوسيلة للانتقام من الخارجين الذين قتلوا عثمان (رضي الله عنه). وكان من نتيجة موقف الطائفة الأولى أن حدثت معركة الجمل التي انتهت بانتصار علي (رضي الله عنه) واستشهاد طلحة (رضي الله عنه) والزبير (رضي الله عنه) وردت عائشة رضي الله عنها إلى المدينة معززة مكرمة[1].

ثانياً: أسباب عدم مبايعة معاوية لأمير المؤمنين علي رضي الله عنهما

قضت متغيرات الأحداث بعد مقتل عثمان بعدم مبايعة معاوية لعلي خليفة للمسلمين، ولقد قيل في هذا الشأن آراء وتفسيرات يتمثل أبرزها في:

1. إنَّ الروايات التي تصور معاوية في خروجه عن طاعة علي بسبب أطماع دنيوية أو بسبب التنافس والعداء الجاهلي القديم بين بني هاشم وبني أمية وغير ذلك من القذف والافتراء والطعن على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مما اعتمد عليه الكتاب المعاصرون وبنوا عليها تحليلاتهم الباطلة، هي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلاً وضبطاً [2] فهذه الروايات مروية عن أبي مخنف[3] وعن أبي جناب الكلبي[4] وهي مردودة أيضاً بما لمعاوية من صفات

(1) السيد بن احمد أبو يوسف، الإصابة فيما شجر بين الصحابة (المنصورة: 2006) مكتبة الإيمان، 199.

(2) السيد بن احمد،الإصابة فيما شجر بين الصحابة، 199.

(3) لوط بن يحيى: الاخباري المتوفى قبل 170 هـ، صاحب التصانيف الكثيرة في الأحداث الكائنة في صدر الدولة الإسلامية، قال فيه أهل الجرح والتعديل: قال أبو حاتم: متروك، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال ابن معين إمام الجرح والتعديل: ليس بثقة. وقال الآجري: سالت أبا حاتم عن لوط بن يحيى، فنفض يديه، وقال: وهل يُسأل أحد عن هذا. محمد حسان، الفتنة بين الصحابة، 298.

وسجايا فهو من كتاب الوحي، وقادة الفتوحات الإسلامية، وأكثرهم حلماً، فكيف يعتقد أنْ يقاتل الخليفة الشرعي ويريق دماء المسلمين من اجل ملك زائل[1]. وهو القائل عن نفسهِ كما في حديثه مع المسور بن مخرمة: (.... والله لا أُخيّر بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه)[2].

2. وكذلك الروايات التي تصور أنَّ سبب الخلاف مما قد شاع قديماً وحديثاً أنَّ الخلاف بين علي ومعاوية كان بسبب طمع معاوية في الخلافة، وأنَّ خروج الأخير على علي وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن الشام [3]. فقد جاء في كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة رواية تفيد: أنَّ معاوية أدعى الخلافة، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله بن الكواء لأبي موسى الأشعري: (أعلم ان معاوية طليق الإسلام وأنَّ أباه رأس الأحزاب وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة فإن صدقك فقد حل خلعه وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه) [4] فهذه الرواية مردودة بضعف نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة، وبما ورد من روايات عديدة تبطل هذا الإدعاء منها:

أ – ما رواه ابن كثير قال: خرج أبو الدرداء وأبو أسامة فدخلا على معاوية فقالا له: يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه لأقدم منك ومن أبيك إسلاماً، وأقرب منك إلى رسول الله (ﷺ) وأحق بهذا الأمر منك. فقال:

---

(4) أبو جناب الكلبي: قال فيه ابن سعد: كان ضعيفاً، وقال البخاري وأبو حاتم: كان يحيى بن القطان يضعفه، وقال عثمان الدارمي: ضعيف، وقال النسائي: ضعيف. محمد حسان، الفتنة بين الصحبة، 258.

(1) علي الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، 100.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق محمود شاكر (بيروت: 2006) دار إحياء التراث العربي، 3/179.

(3) السيد بن احمد، الإصابة فيما شجر بين الصحابة، 203–204.

(4) د.محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، 459–460.

أقاتله على دم عثمان وأنه آوى قتلته فاذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان، ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشام[5].

ب -وما رواه الذهبي بسنده عن أبي مسلم الخولاني انه قال لمعاوية: أنت تنازع علي أم أنت مثله؟ فقال: لا والله أني لأعلم انه أفضل مني وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا أبن عمه والطالب بدمه، فأتوه فقولوا له فليدفع اليّ قتلة عثمان واسلم له....)[1].

وفي ذلك يقول الهيتمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أنَّ ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب لم يكن لمنازعة على الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه فامتنع علي [2]. وهناك دليل عقلي آخر يؤيد ما ذكرناه: وهو أنه لم تثبت رواية واحدة تذكر أنَّ لمعاوية أي دور في معركة الجمل. ولكن مع كل هذا النجاح من قبل هذا الوالي (معاوية) وعلى الصُعد كافة ومع عدم وجود أي خلاف مباشر بين علي وبين معاوية وعدم مشاركة معاوية في كل ما جرى من أحداث بعد استشهاد عثمان مع قدرته على ذلك وإمكانياته في قلب موازين القوى ضد أمير المؤمنين علي فيما لو وقف مع طلحة والزبير فيما جرى من الأحداث في فتنة السبئية الثانية في البصرة والتي كان معاوية يشارك طلحة والزبير في كل ما قاما به بقناعة تامة. بل إن موقفه في صفين ما هو إلا امتداد لما نهضا به وأن عدم مشاركة معاوية في أحداث البصرة، لا في يده ولا في لسانه، يؤكد براءته من أي نية مسبقة في مخالفة علي)[3].

---

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، 30/8.

(1) سير أعلام النبلاء، 140/3- عبدالواحد إدريس، فقه الفتن، 249.

(2) الهيتمي، تطهير الجنان واللسان مع الصواعق المحرقة، تحقيق عبدالوهاب عبد اللطيف، 249.

(3) د. حامد الخليفة، الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، 415.

أما السؤال الذي يتبادر إلى الذهن فهو ما دام أن معاوية لم يطمع بالخلافة أصلاً. فلماذا لم يبايع علياً؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال فثمة سؤال آخر يطرح نفسهُ وهو لماذا قرر علي عزل معاوية على الرغم من أنه لم يبدر منه شيء وعلى الرغم مما أمتاز به هذا الوالي من الكفاءة بل وعلى الرغم من النصائح التي قدمت لأمير المؤمنين سواء من المغيرة الذي قال (أني أرى أن تقر عمالك على البلاد...) أو من ابن عباس (الذي أشار على علي باستمراره بنوّابه إلى حين يتمكن من الأمر وأن يقر معاوية خصوصاً على الشام..) [1] أو حتى من ابنه الحسن عندما قال مع ابن عباس أكتب إلى معاوية وأقرره على الشام[2]. إذن لماذا عزله في مثل هذا الظرف الحرج الذي تمر به الأمة؟

فلابد أنْ تكون ثمة دوافع يتسوغ لأمير المؤمنين ما قام به في هذه المسألة، وما دامت كل المسوغات الظاهرة معدومة فإن تلك الدوافع ما هي إلا ما كان يشيعه أولئك الغوغاء وأعوانهم ويتحدثون به بين المسلمين وعند من يغشى مجالس أمير المؤمنين، ولاسيما بعد أن كشف معاوية جميع أهدافهم ونواياهم [3]. ولهذا يمكن القول: أن من الأسباب التي عمقت دائرة الخلاف بين الخليفة ووالي الشام وجود الغوغاء في جيش أمير المؤمنين وتحريضهم على قتال معاوية، وتهويلهم من خطورة امتناعه من البيعة إلا بعد القصاص من القتلة، لأن ذلك يعنيهم بالدرجة الأولى[4]. ولهذا فإن عوامل الخلاف أصبحت قوية بين خليفة يرى أن هذا الوالي متمرد على إرادته وهذا ما لا يحق له، لذلك لابد من إرغامه على الطاعة بالقوة ونزعه عن ولايته، وبين والي يرى أن هذا الخليفة غير واجب الطاعة لأنه لم يقم حد الله تعالى على من قتل خليفة المسلمين، إما لعجزه عن ذلك أو لعدم معرفته التامة بهم أو لغير ذلك من الأسباب. وبناءً على هذا فإن الغوغاء

---

(1) (ابن كثير، البداية والنهاية، 8/ 7–8؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،2/ 189.

(2) تاريخ دمشق الكبير، ابن عساكر (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط 1، 2001) 61/82.

(3) د. حامد الخليفة، الإنصاف فيما وقع في العصر الراشد من الخلاف، 418.

(4) المرجع نفسه، 419.

الذين قتلوا عثمان، وأثاروا القتال بين المسلمين في البصرة، هم أنفسهم الذين هيئوا أسباب الخلاف بين علي وقد شحنوا صدره ببهتانهم على معاوية حتى صوروا له أن نزعه عن ولايته من أولى أوليات الخلافة[5]. من هنا يتبين لنا أنَّ السبب الأول والأهم من أسباب عدم مبايعة معاوية لأمير المؤمنين هو وجود هؤلاء الغوغاء في جيشه والمطالبة بالقود منهم.

ويمكن إضافة سبب آخر لعدم المبايعة وهو: البشاعة التي قتل فيها عثمان. فقد خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بدمه، ومعه أصابع نائلة زوجة عثمان التي أصيبت حين جاحفت عنه بيدها فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص. وندب الناس إلى الأخذ بالثأر وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ممن قتله من أولئك الخوارج [1]. لقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى الشام بشعة: فقتل الخليفة، سيوفاً مصلتة من الغوغاء وعلى رقاب الناس بالمدينة، بيت المال منتهكاً مسلوباً، وأصابع نائلة، مقطوعة فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر وتأثرت بها القلوب وذرفت لها العيون، ولذلك كان إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام على المطالبة بدم عثمان وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة. لقد أمتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتص علي من قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة[2]، وقالوا لا نبايع من يأوي القتلة[3].

فقد كان معاوية يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولي دمه والله يقول ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ

---

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، 8/8.

(1) المصدر نفسه، 7/8.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 8/8.

(3) ابن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب (بيروت: 2007) المكتبة العصرية، 166.

مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [الإسراء:(33)]. لذا جمع معاوية الناس وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل مظلوماً على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله (ﷺ) فقام أحدهم وأسمه مرة بن كعب [1] فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله (ﷺ) ما تكلمت: وذكر الفتن وقربها، فمرَ رجل متقنع في ثوب، فقال (ﷺ): هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم[2].

وثمة حديث آخر له تأثير في طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان منشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف فعن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله (ﷺ) فكان من آخر كلامه أن ضرب منكبه فقال: يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثاً. فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته. قال فأخبرته معاوية فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن أكتبي إليّ به، فكتبت إليه به كتاباً[3]. لقد كان الحرص الشديد في تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيس في رفض أهل الشام البيعة لعلي [4]. وإن كان الصواب مع علي لأن الطالب بالدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب

---

(1) مرة بن كعب أو كعب بن مرة: صحابي نزل بالبصرة وروى عنه البصريون ونزل الشام وروى عنه أهلها واختلف فيه بالتقديم والتأخير وقيل هما اثنان والله اعلم. ا بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة:2000) دار التقوى، 532/3.

(2) سنن الترمذي، تخريج وتعليق الألباني (الرياض: 2008) مكتبة المعارف، ط 2، 840 حديث رقم (3704).

(3) سنن أبي ماجة، تخريج وتعليق للباني (الرياض: 2008) مكتبة المعارف، ط2، 35 ورواه الترمذي حديث رقم (3705).

(4) علي الصلابي، حقيقة الخلاف بين الصحابة (المنصورة:2007) مكتبة الإيمان،125؛ علي الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، 98.

للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه، وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه، فيقوم له عذر في الدنيا(5).

ويقول القرطبي: اتفقت أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد من دون السلطان، وليس للناس أن يقتص بعضهم من بعض، وإنما ذلك للسلطان أو من نصبه السلطان لذلك، ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدي الناس بعضهم عن بعض(1).

ويمكن القول: أن معاوية كان مجتهداً، متأولاً يغلب ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكرهم أنه ولي عثمان (أبن عمه) وقد قتل مظلوماً ثم قرأ الآية الكريمة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [الإسراء:(33)] ثم قال: أحب أنْ تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوه إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم(2).

لقد أشارت الروايات إلى أنَّ معاوية اتخذ موقفه بالمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله بطاعة علي إذا أقيم الحد على القتلة، ولو أفترض انه اتخذ قضية القصاص والثار ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطان، كما قال بعضهم، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان؟، حتما ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته إياه، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما إن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان، على

---

(5) ابن العربي،العواصم من القواصم، 167.

(1) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سالم مصطفى البدري (بيروت: 2004) دار الكتب العلمية، ط2، 172/2.

(2) د. محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة، 460.

أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[3].

هذه هي أهم أسباب عدم مبايعة معاوية لأمير المؤمنين علي وإنها إرادة لله تعالى وفيها معجزة لنبيه الكريم (ﷺ) حيث جرت الأحداث وشاء الله ان يلي معاوية خلافة المسلمين تصديقاً لقول الرسول (ﷺ) (يا معاوية، إن وليت أمرا فاتق الله واعدل) قال: (فما زلت أظن أني مبتلىً بعمل لقول رسول الله (ﷺ) حتى ولِّيت)[1].

2. السفارات والرسل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما

بعث علي كتباً كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، دعا معاوية برجل من بني عبس، ثم احد بني رواحة يُدعى قبيصة فدفع إليه طوماراً [2] مختوماً، عنوانه من معاوية إلى علي فقال: إذا دخلت المدينة فأقبض على أسفل الطومار، ثم أوصاه بما يقول وسرّحه إلى علي. فخرجا فقدما المدينة في ربيع الأول لغرته، فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار، كما أمره وخرج الناس ينظرون إليه فلم يجد فيه كتاباً، فقال: (للرسول ما وراءك؟ قال آمن أنا؟ قال: نعم، إن الرسل آمنة لا تقتل. قال: ورائي إني تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود[3]، قال: ممن؟ قال: من خيط نفسك، وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم، قد ألبسوه منبر دمشق. فقال: مني يطلبون دم عثمان؟! ألست موتوراً كترة عثمان! اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان؛ نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمرا أصابه؛ اخرج؛ قال: وأنا آمن؟ قال: وأنت آمن. فخرج العبسي وصاحت السبئية

---

(3) المرجع نفسه، 463-464.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 131/8.

(2) الطومار = الصحيفة.

(3) القَوّد = القصاص.

قالوا: هذا الكلب، هذا وافد الكلاب، اقتلوه! فنادى: يا آل مضر، يا آل قيس، الخيل والنبل..)[4].

وبعد وصول رد معاوية إلى أمير المؤمنين رضي الله عنهما عزم الخليفة على قتال أهل الشام[5]. وبعد وصول أهل الكوفة وأهل الشام إلى صفين عسكروا هناك فدارت بينهم الرسل حرصاً على الجماعة والوحدة وللحيلولة دون وقوع القتال بين الأخوة، وكان ما دار من حوار بين الطرفين تناول مسألتين أساسيتين هما:

أ. دعوة الخليفة علي والي الشام للبيعة على كتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ) والدخول فيما دخل فيه من بايعه من المسلمين لتأليف الكلمة ووحدة الصف.

ب. وامتناع والي الشام معاوية عن البيعة إلا بعد القصاص من قتلة الشهيد عثمان، ومحاكمة من أجلب عليه، ولاسيما من كانوا في جيش أمير المؤمنين علي، وأه هو ولي المقتول.

وقد شارك في تلك السفارات عدد من أعلام المسلمين، طلباً لحقن الدماء والإبقاء على وحدة المسلمين وقوتهم، وسعياً وراء الأجر العظيم لدعاة الصلح وناشري السلام، إلا أن أكثر أخبار تلك السفارات دون في كتب التاريخ مروياً عن إخباريين غير ثقات، فزيد في أقوال الرسل وحذف منها، وحوّل كثير منها إلى مهاترات وأمثال وسباب وشتائم وأشعار وتهديد ووعيد بين المتحاورين بعيدة عن آداب الصحابة ومفاهيمهم ورواياتهم للصلح والحرب ومفقود في أكثرها الحديث عن أسباب الخلاف وأهمية الصلح، وهذا ما رواه الطبري في أكثر ما أورده من روايات في هذه المسألة، وما دونه ابن مزاحم في (وقعة صفين)، وما رواه عنهم ابن الأثير في (الكامل) وابن اعثم في (الفتوح) وأبن كثير في (البداية والنهاية) ما عدا الروايات القليلة التي أبدى فيها رأيه وأشار إلى أنها (لا تصح). أما كتب المبتدعة ومبغضي الصحابة فلا يجوز النظر فيها لمن يعتقد أنها مناقضة لعدالة الصحابة رضي الله عنهم، وأنها مدسوسة ومفتراة عليهم، وان كان بعضها تحمل في طياتها

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/3.
(5) ابن كثير، البداية والنهاية، 8/8.

شيئا من الحقيقة لتستر في ظلاله الأباطيل والدسائس التي تهدف إلى نزع الثقة عن الصحابة رضي الله عنهم.[1]

وخرج علي من البصرة متوجها إلى الكوفة التي دخلها سنة 36 هـ، وكان جرير بن عبدالله على همدان فعزله، فقال لعلي: وجهني إلى معاوية فإن جلّ من معه من قومي فلعلي أجمعهم على طاعتك؟ فقال له الأشتر: يا أمير المؤمنين لا تبعثه فإنّ هواه هواهم فقال: دعه يتوجه، فقدم جرير إلى معاوية وهو جالس والناس حوله، فدفع إليه كتاب علي فقرأه ثم قام جرير فقال: يا أهل الشام إنه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد كانت بالبصرة ملحمة لم يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للإسلام، فاتقوا الله يا أهل الشام وردوا في علي معاوية خيراً فانظروا لأنفسكم ولا يكونن أحد أنظر لها منكم. ثم سكت، وصمت معاوية. فقال: أبلعني ريقي يا جرير[1].

وقال المسعودي: وكتب إلى معاوية معه (أي جرير) يعلمه مبايعة المهاجرين والأنصار إياه واجتماعهم عليه، ونكث الزبير وطلحة، وما أوقع الله بهم ويأمره بالدخول في طاعته[2].

وطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام، فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو يُسلمهم إليهم، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم، فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا. فقال الأشتر: ألم أنهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً؟ فلو بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته، فقال جرير: لو كنت ثمّ هناك لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر: والله لو بعثني لم يعيني جواب ولأعجلنه عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأمثالك

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 8/8.

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور (بيروت:2002) دار الكتاب العلمي، 2، 127–128.

(2) مروج الذهب ومعادن الجوهر، عني به محمد هاشم النعسان وعبدالمجيد طعمة حلبي (مصر:2005) دار المعرفة، 2، 332.

حتى يستقيم أمر هذه الأمة. فقام جرير مغضباً، فأقام بقرقيسياء وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وبما قيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم إليه.[3]

وهكذا كان الاشتر سبباً في إبعاد الصحابي جرير بن عبدالله الذي كان والياً على قرقيسياء وعى غيرها ورأسا على قبيلة بجيلة ويضطر إلى مفارقة أمير المؤمنين علي، وهذا الصحابي الجليل قال: ما رآني رسول الله (ﷺ) إلا تبسم في وجهي وقال (ﷺ): (يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك)[1].

ثالثاً. فتنة صفين والتحكيم

1. وقعة صفين

لما لم تنجح كل المراسلات للإصلاح وإزالة الخلاف، لتشبث كل فريق برأيه، وحرصه على العمل بما أداه إليه اجتهاده [2]. خرج علي (رضي الله عنه) بمن معه لثنتي عشر ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فعسكر بالنخيلة وقدم إليه ابن عباس من البصرة بعد أن استخلف عليها. وعبأ جيشه متوجها لمحاربة أهل الشام وإجبارهم على الخضوع لجماعة المسلمين، ولما علم معاوية بذلك سار في جيشه من الشام، والتقى الطرفان في سهل صفين على نهر الفرات[3]. وهذا مصداق قول رسول الله (ﷺ) (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) [4]. قال ابن

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 26/8.
(1) مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (2475).
(2) عبدالواحد إدريس،فقه الفتن، 191.
(3) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز الخلاف الراشدة (مصر: 2004) دار السلام، ط14، 374.
(4) البخاري، صحيح الخاري، حديث رقم (6935).

حجر: وفي المتن من الزيادة (يكون بينهما مقتلة عظيمة) والمراد بالفئتين جماعة علي ومعاوية.[5]

وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان علي يُخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميراً فيقتتلان مرة واحدة في اليوم في الغداة أو العشي، وفي بعض الأحيان يقتتلان مرتين في اليوم. وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال، وأملاً في وقوع صلح بين الطرفين حتى تصان الأرواح والدماء[6].

2. الموادعة بينهما ومحاولات الصلح

لما توادع علي ومعاوية يوم صفين، اختلف فيما بينهما الرسل رجاء الصلح، فبعث علي عدي بن حاتم إلى معاوية، فلما دخل حمد الله، ثم قال: (أما بعد، فإنا أتينا ندعوك إلى أمر يجمع الله عز وجل به كلمتنا وأمتنا، ويحقن به الدماء، ويؤمن به السبل، ويصلح به ذات البين. إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة، وأحسنها في الإسلام أثراً، وقد استجمع له الناس، وقد أرشدهم الله عز وجل بالذي رأوا، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فانته يا معاوية لا يصيبك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل. فرد معاوية برده السابق في الطلب بتسليم قتلة عثمان (رضي الله عنه) والقود منهم ثم يدخل في البيعة، وقد تبين موقف علي (رضي الله عنه) من هذه القضية)[1].

وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات لأبي مخنف ونصر بن مزاحم بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: (ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه وإنهم إنما دخلوا في

---

(5) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (القاهرة: 2000) دار التقوى، ط2، 343/12.
(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 79/2.
(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 8/ 29؛ علي الصلابي، علي بن أبي طالب (مصر: 2005) المكتبة التوفيقية، 103/2.

الإسلام ولم يزالا في تردد فيه وغير ذلك وإنه قال في غ ضون ذلك لا أقول إن عثمان قتل مظلوماً ولا ظالماً.... لا يصح عن علي (رضي الله عنه))[2].

والظاهر من هذه الطريقة في القتال وكثرة الرسل والموادعات انعدام الرغبة في القتال يوم صفين والتي ظهرت في أقوال وأفعال الكثيرين ممن شهدها وأنَّ عامة أعلام الصحابة استمروا في اعتزال الفتنة بما فيها صفين وما بعدها[3].

3. نشوب القتال من جديد

ولما فشلت كل الرسل والوفادات عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية خشية الالتحام الكلي إلى ان مضى الأسبوع الأول منه وكان عدد الوقعات الحربية بين الطرفين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين، وذُكرَ أنها تسعون[1].

قال بعدها علي: (حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا؟ ثم قام في الناس عشية الأربعاء بعد الع صر فقال الحمد لله .... ألا وأنكم لاقوا القوم غداً فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، واسألوا الله النصر والصبر، والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين) فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها [2]. وفي الجانب الآخر قام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال من قل سلاحه وهو يحرض الناس على الاستبسال في القتال، وبات جميع الجيش في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية [3]. فاقتتلوا يوم الأربعاء والخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ثم رفعت المصاحف ودعوا إلى الصلح[4].

---

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 30/8.
(3) د.حامد الخليفة،الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، 454.
(1) علي الصلابي، علي بن أبي طالب، 104/2.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 84/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 33/8.
(3) علي الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، 107.
(4) خليفة، تاريخ خليفة بن خياط (بيروت: 1995) دار الكتب العلمية، 116.

4. استشهاد عمار بن ياسر (ﷺ) وأثره على المسلمين

وكان عمار بن ياسر (رضي الله عنه) قد جاوز الرابعة والتسعين عاماً، إلا أنه قاتل بحماس، وكان يحرض الناس ويستنهض الهمم ولكنه كان بعيداً كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلاً بجواره يقول: كفر أهل الشام، فنهاه عمار وقال: إنما بغوا علينا ونحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد ونبينا واحد وقبلتنا واحدة. وروى الأمام أحمد بسنده عن عمرو بن مرة، سمعت عبدالله بن سلمة يقول: (رأيت عمار بن ياسر (رضي الله عنه) يوم صفين شيخاً كبيراً أدم طوالا أخذ الحربة بيده ويده ترعد فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله (ﷺ) ثلاث مرات وهذه الرابعة والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر لعرفت أنَّ خيارنا على الحق وأنهم على الضلالة[1].

وقال أبو عبدالرحمن السلمي: ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله (ﷺ)؛ ورأيته جاء إل ى المرقال هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علي (رضي الله عنه) فقال يا هاشم أعوراً وجبناً! لا خير في أعور لا يغشى البأس فإذا رجل بين الصفين قال هذا والله ليخلفن إمامه، وليخذلن جنده، وليضربن جهده.[2]

يُعد حديث رسول الله (ﷺ) لعمّار (رضي الله عنه) الذي رواه أبو سعيد بقوله: (كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين فمر به النبي محمد (ﷺ) ومسح عن رأسه لغبار وقال: ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار)[3].

وكان لمقتل عمار (رضي الله عنه) أثر كبير في معركة صفين فقد كان علما لأصحاب رسول الله (ﷺ) يتبعونه حيث سار وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافاً سلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 36/8.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 99/3.

(3) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (2812)، مسلم، صحيح مسلم حديث رقم (2916).

سمع حديث رسول الله (ﷺ) عن عمار واستمر في القتال حتى قتل، وكان مقتل عمار أثر في قادة معسكر معاوية (رضي الله عنه) مثل عمرو بن العاص وابنه عبدالله وأبي الأعور السلمي الذين كانوا عند شرعة الماء يسقون وكانت هي شرعة الماء الوحيدة التي يسقي منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عمار بن ياسر إذ قال عبدالله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذ ا الرجل وقد قال فيه رسول الله (ﷺ): (تقتله الفئة الباغية) فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال رسول الله (ﷺ) ما قال، فقال معاوية أسكت فوالله ما تزال تدحض في بولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به، فأنتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم[1].

وفي رواية صحيحة أيضاً: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمار يقول: كل واحد منهما أنا قتلته، فقال عبدالله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فاني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (تقتله الفئة الباغية) قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي اشتكاني إلى رسول الله (ﷺ) فقال لي رسول الله (ﷺ): (أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه) فأنا معكم ولست أقاتل[2].

من الروايات السابقة نلاحظ أن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) حري على قول الحق والنصح، فقد رأى أنَّ معاوية وجنده هم الفرقة الباغية لقتلهم عماراً إذ تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة، ولا شك أنَّ مقتل عمار (رضي الله عنه) قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث [3]. إلا أن معاوية أولّ الحديث تأويلاً غير مستساغ ولا يصح في أنَّ الذين قتلوا عماراً هم الذين جاؤوا به إلى القتال، وقد ردّ علي على قول معاوية بأن قال: فرسول الله (ﷺ) إذن قتل حمزة لما أخرجه، وهذا من علي إلزام لا جواب عنه[4].

---

(1) الطبري، المصدر السابق، 99/3؛ ابن كثير، المصدر السابق، 39/8.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 38/8.

(3) السيد احمد أبو يوسف، الإصابة فيما شجر بين الصحابة،212.

(4) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق حامد احمد الطاهر (مصر: 2000) دار الفجر للتراث، ط1، 515.

يقول محب الدين الخطيب: وفي اعتقادي الشخصي أنَّ كل من قتل من المسلمين بأيدي المسلمين منذ قتل عثمان فإنما إثمه على قتلة عثمان لأنهم فتحوا باب الفتنة[5]. ولقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص بل كان استشهاد عمار دافعاً لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب، وقد قال: (وددتُ أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة)[6].

5. أسباب اللجوء للتحكيم:

ثمة أسباب عديدة أدت إلى اللجوء إلى التحكيم في هذه المعركة ومنها:

أ. الاستجابة لصوت الوحي الداعي إلى الإصلاح قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: 59] وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ {الحجرات:10} ويؤيد هذا ما قاله علي حينما عرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله تعالى قال: نعم أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله[1].

ب. انه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصِدام وحقن الدماء سواء كانت المحولات الجماعية أم الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل لكنها لم تفلح، أما الرسائل التي تم تبادلها بين الطرفين لتقريب وجهات النظر لَمْ تجد هي الأخرى شيئاً وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية (رضي الله عنه) في أيام اشتداد القتال من إرسال رسالة إلى علي (رضي الله عنه)[2].

---

(5) حاشية العواصم من القواصم، 173.

(6) علي الصلابي، حقيقة الخلاف بين الصحابة، 140.

(1) علي الصلابي، علي بن أبي طالب،110/2.

(2) قال المسعودي في مروج الذهب، 20/3: ومما كتب معاوية إلى علي: (أما بعد لو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وان كنا قد غلبنا عقولنا فقد بقي لنا منهما ما نُرم به ما مضى ونصلح به ما بقى، وقل الله رقت لاجناد وذهبت الرجال

ت. تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة، ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف القتال[3]. فذكر ابن كثير في وصف ليلة الهرير: فذكر غير واحد من علمائنا علماء السير أنهم قتتلوا الرماح حتى تقصفت ، وبالنبال حتى فنيت، وبالسيوف حتى تحطمت ثم صاروا إلى أن تقاتلوا الأيدي، والرمي بالحجارة، والتراب في الوجوه وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما يهمز على الآخر ويهر عليه ثم يقومان فيقتتلان كما كانا فانا لله وإنا إليه راجعون[1].

ويمكن القول ان الملل الذي أصاب الناس من طول القتال، وكثرة الدماء التي أريقت وخوف الفناء وهي أهم الأسباب التي أدت إلى الدعوة إلى التحكيم وظهر ذلك من قول الأشعث لقومه بعد أن اجتمعوا إليه: قد رأيتم ما كان في اليوم الماضي من الحرب المبيرة (المسرفة في إهلاك الناس) وإنا إن التقينا غدا إنه لبوار العرب وضيعة الحرمات [2]. قالوا: فانطلقت العيون إلى معاوية بكلام الأشعث، فقال: صدق الأشعث، لئن التقينا غدا ليميلنّ الروم على ذراري أهل الشام، وليميلن دهاقين فارس على ذراري أهل العراق، وما يبصر هذا إلا ذوو الأحلام اربطوا المصاحف على أطراف القنا [3]. خاصة وان معاوية قد أحس بخطر الروم وتربصهم بأهل الشام مستغلين انشغال معاوية بحرب علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فدنى إلى بعض البلاد بجنودٍ عظيمة، فكتب إليه معاوية:

ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يبتذل له عزيز ويرق به حر والسلام).

(3) علي الصلابي، علي بن أبي طالب، 110/2.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 40/8.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق: عبدالمنعم عامر (بغداد: 1955) مكتبة المثنى، 188، المنقري، وقعة صفين، (القاهرة:1945)، دار إحياء الكتب العربية، 48.

(3) الدينوري، الأخبار الطوال، 189 /رمزي إبراهيم عبدالله، أبو موسى الأشعري ودوره السياسي والإداري والعسكري في العراق، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل،112–115.

(والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لاصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنّك من جميع بلادك، ولأضيقنّ عليك الأرض بما رحبت فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث بطلب الهدنة)[4]. وكانت أغلبية جيش علي قد مالت إلى الموادعة وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب ولا نرى البقاء إلا بالموادعة [5]. وهذا ينقض الرأي المتهافت الذي يرى بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص، والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص [1]. فقد روى الطبري عن عمار بن معاوية الدهني قال: اخذ علي مصحفاً يوم الجمل، فطاف به في أصحابه وقال: من يأخذ هذا المصحف، يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول [2]. وروى أيضا: أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أمرت كعب بن مسور (قاضي البصرة) يوم الجمل، ان يتقدم بكتاب الله عز وجل ويدعوهم إليه ودفعت إليه مصحفاً لكنه قتل [3]. ولهذا فإن هذا الموقف (رفع المصاحف والدعوة إلى التحكيم) يعد أهم حدث في صفين، لما جر على المسلمين من منافع الصلح وحقن الدماء الذي أثلج صدور المؤمنين. وهكذا ما ان رفعت المصاحف حتى (بطلت الحرب) [4]. فذهب الأشعث بن قيس إلى معاوية فسأله: لأي شيء رفعتم المصاحف؟ قال: لنحتكم نحن وأنتم إلى أمر الله في كتابه فابعثوا منكم رجلاً ترضونه ونبعث رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه، فقال الأشعث: هذا هو الحق [5]. وهذه هي رواية كوفية لا ذكر فيها لعمرو بن العاص، ولا للمخادعة ولا للاحتيال. وهكذا تم الاتفاق

---

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، 41/8؛ احمد السويداني، فتوحات مشرقة (الموصل: 2008) ط1، 266.

(5) المنقري، وقعة صفين، 482-485.

(1) علي الصلابي،علي بن أبي طالب، 110/2.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 42/3.

(3) المصدر نفسه، 43/3.

(4) المنقري، وقعة صفين، 479.

(5) المصدر نفسه، 498.

بين الفريقين على التحكيم بعد موقعة صفين، وهو ان يحكم كل واحد منهما من جهته ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكل معاوية، عمرو بن العاص، ووكل علي أبو موسى الأشعري (رضي الله عنهم جميعاً) وكتبوا فيها كتابا ان يوافي رأس الحول في اذرح فينظروا في أمر هذه الأمة [6]. فافترق الناس فرجع معاوية (﵁) بالألفة من أهل الشام، وانصرف إلى علي (﵁) إلى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا: (لا حكم إلا لله).

6. نتائج التحكيم

وكما قرر في الوثيقة تم الاجتماع في دومة الجندل [1] في روايات موثقة، واذرح[2] في روايات أخرى دونها في الإتقان ولعل قرب المكانين من بعضهما اثر في اختلاف الروايات[3].

وتفاوضا، واتفقا على ان يخلعا الرجلين فقال عمرو لأبي موسى: اسبق بالقول فتقدم، فقال: إني نظرت فخلعت عليا عن الأمر، وينظر المسلمون لأنفسهم، كما خلعت سيفي هذا من عنقي – أو من عاتقي – وأخرجه من عنقه فوضعه على الأرض. وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال: إني نظرت فأثبت معاوية في الأمر كما اثبت سيفي في عاتقي وتقلده: فأنكر أبو موسى، فقال عمرو: كذلك اتفقنا وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف[4].

وقد اعتمدت على هذه الرواية المختصرة وان كانت هناك رواية ذكرت تفصيل أكثر لضيق البحث. وليس بطلان هذه الرواية بسبب اتهام رواتها بالكذب

---

(6) ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا (بيروت: 1997) ط2، 23/3.

(1) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية.

(2) اذرح: قرية من أعمال الشراة تقع في منطقة بين أراضي شرق الأردن والمملكة العربية السعودية في الأطراف الجنوبية من بادية الشام.

(3) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 115.

(4) ابن العربي، العواصم من القواصم، 178–179؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (بيروت: 2001) دار الجيل، ط5، 305/1.

(رواية أبي مخنف)، ومخالفة عدالة الصحابة فقط وإنما لما فيها من المغالطات الظاهرة، وأن أبا موسى وعمروا قد اتفقا على خلع علي ومعاوية رضي الله عنهما، فخلعها أبو موسى واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية، فالمغالطة هنا: ان معاوية لم يكن يومئذ خليفة، ولم يكن يطالب بالخلافة، فكيف يخلع عن شيء لا يمتلكه؟! فهذه نقطة المغالطة التي هزئ بها مؤرخو الافك المفترى؛ فسخروا بجميع قرائهم وأوهموهم بان هناك خليفتين أو أميرين للمؤمنين، وان الاتفاق كان على خلعهما معاً، وان أبو موسى خلع الخليفتين تنفيذا للاتفاق، وان عمروا خلع احدهما وأبقى الآخر خلافا للاتفاق، وهذا كله كذب وأفك وبهتان [5]. والذي فعله عمرو هو نفس الذي فعله أبو موسى لا يفترق عنه قط في نقيضٍ ولا قطمير [1]. ان الرواية الصحيحة عما جرى بين الحكمين هي الرواية التي رواها الدارقطني بسنده إلى حضين بن المنذر (وحضين من خواص علي الذين حاربوا معه): لما عزل عمرو معاوية جاء (أي حضين بن المنذر) فضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية، فبلغ نبأه معاوية فأرسل إليه فقال: انه بلغني عن هذا (أي عمرو بن العاص) كذا وكذا (أي عزله عليا ومعاوية وتفويضه الأمر إلى كبار الصحابة) فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه؟. فأتيت فقلت: اخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا (ي أنهما لم يعزلا ولم يوليا ولكن تركا الأمر لأعيان الصحابة) ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفى رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راضٍ. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: ان يستعن بكما ففيكما معونة، وان يستغنى عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما، قال: فكانت هي التي فتل معاوية نفسه. فأتيته فأخبرته (فأتى حضين معاوية فاخبره) ان الذي بلغه كما بلغه[2].

وليس من شك في ان أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة أو أهل الشورى ليس إلا أمر الخلاف بين علي ومعاوية حول قتلة عثمان وهو ما

---

(5) محب الدين الخطيب، حاشية العواصم من القواصم، 179.
(1) المصدر نفسه والموضع نفسه.
(2) ابن العربي، العواصم من القواصم، 182.

أطبقت على ذكره المصادر الإسلامية، وأما الخلاف حول الخلافة فلم يكن نشأ عندئذ ولم يكن معاوية مدعيا الخلافة، ولا منكرا حق علي فيها كما تقرر سابقا (3).

ولابد من الإشارة في الختام إلى ان قصة التحكيم وما تبعها من أحداث، تعتبر من اخطر الموضوعات في الخلافة الراشدة، وقد تاها فيها كثير من الكتاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها في كتبهم ومؤلفاتهم. وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت الصحابة الكرام، هذا ولم يكن للتحكيم أي نتائج تذكر (لم يتم تسليم قتلة عثمان، ولم يدخل معاوية في البيعة لعلي وهذا هو أصل الخلاف) سوى وقف القتال بين الطرفين وحقن دماء المسلمين.

Mu'āwiya Bin Abi Sufian's Stance from the Political Developments in the Rashidi Period

Dr. Salim Abd Ali* & Mahmood Ghanim Mohammed**

Abstract

The present study deals with Mu'āwiya's stance, the governor of Syria, the Caliph later on, from the political developments prior the murder of the Caliph Ottman. It also deals with the times and days of sedition that led to martyrdom of the Caliph Ottman (may Allah be pleased with him). Similarly, the study will also tackles with Mu'āwiya's viewpoints in solving the troubles happened at those hard days. In those days many lives were lost, many fighting fronts were appeared.

He was preferring to approach the peaceful solution rather than other solution that might be in using force. Similarly, he respected other's views in those troubled days.

---

(3) د.محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، 524.

* Dept. of History/ College of Arts/ University of Mosul.

** Researcher.

The study also will review the opinions that were given by Mu'āwiya's opponents and how he replied to them.

Moreover, the study will give the views that are given by Islamic and Arab scholars concerning what happened between Mu'āwiya and Ali bin Abi Talib (May Allah be please with them), and what happen in Siffeen. Then, the study will mention the referee issue. Likewise, the study reviews Mu'āwiya respect towards the Caliph Ali bin Abi Talib and how he cried when he heard about his death (40A.H./ 669A.D.). On the other hand, we find how the Caliph Ali regretted for what happened preferring that he could have died before experiencing those troubles. This study relies on the latest books and articles in the Islamic history, jurists' views, and the modern views of the historians in order to arrive at the real image of the real situation and what was Mu'āwiya's stance.